Gleams of Islamic Civilization
Vol.2, No.1, July 2025, 323-348

Lights on the Importance and Merit of the Jihad of Clarification Focusing on its Religious and Historical Applications

Mahdi Qorbanzadeh[1]

(Received: 2024 July 14; Accepted: 2025 April 13)

Abstract

It appears to the observer that knowledge, like security, urgently needs social care. If a rightful state and its intellectuals do not show sufficient interest in uncovering and clarifying underlying ideas and facts in social and religious matters and issues, there is a fear that false currents, arrogant governments, and domineering forces that insist on controlling information will change the course of history and events. The importance of this study stems from the fact that we live today in a media war. Therefore, in addition to media confrontation with the enemy, it is advisable that we shed revealing light on theoretical matters, including the status of clarifying underlying facts in Islamic history and its role in preserving values and social developments. Based on that, this modest research paper, using the descriptive-analytical method, aims to highlight the impact of the type of clarification of facts on producing positive and negative social developments, to consider some instances of distortion and clarification of facts in the verses and narrations and their effect on negative and positive social developments, and to touch on the actions of the Ahl al-Bayt (AS) in this regard. The findings showed that some instances of distortion and clarification of facts include: the story of the Prophet David (AS) and the wife of Uriah, the story of the Prophet Moses (AS), the clarification of facts in the face of Pharaoh's doubts, and the recommendation to fast on the Day of Ashura. It also became clear that the actions of the Ahl al-Bayt (AS) in the course of social clarification include: clarifying facts among the general public, clarifying facts among opponents and dissenters, and others.

Keywords: Jihad of clarification in the Holy Verses, Jihad of clarification in the noble narrations, historical distortions

1. Lecturer at Qom Islamic Seminary, Qom, Iran. Email: mahdiqorbanzadeh14@gmail.com

أضواء الحضارة الإسلامية
المجلد الثانی، العدد الأول، ربیع و صیف ١٤٠٤هـ.ش / ٢٠٢٥م، ص ٣٢٤ - ٣٤٨

أضواء على أهمية جهاد التبيين وفضله تركيزا على توظيفاته الدينية والتاريخية

مهدی قربان‌زاده[١]

[تاريخ الوصول: ١٤٠٣/٠٤/٢٤هـ.ش؛ تاريخ القبول: ١٤٠٤/٠١/٢٤هـ.ش]

الملخص

يبدو للمتأمل في الأمر، أن المعرفة مثل الأمن بأمس حاجة إلى الرعاية الاجتماعية. إذا لم تبذِ الدولة الحقّة ومفكروها اهتماما كافيا بإماطة اللثام عن الأفكار والحقائق الكامنة وتبيينها في المسائل والقضايا الاجتماعية والدينية، فإنه يخشى أن التيارات الباطلات والحكومات المستكبرة والقوى المتغطرسة التي تصرّ على إدارة المعلومات، تغيّر مسار التاريخ والأحداث. تأتي أهمية الدراسة من أننا نعيش اليوم في الحرب الإعلامية. من ثم، فمن المستحسن أننا، علاوة على المواجهة الإعلامية مع العدو، نلقي الأضواء الكاشفة على المسائل النظرية، بما في ذلك مكانة تبيين الحقائق الكامنة في التاريخ الإسلامي ودوره في الحفاظ على القيم والتطورات الاجتماعية. انطلاقا من ذلك، فتروم هذه الورقة البحثية المتواضعة من خلال المنهج الوصفي-التحليلي، أن تسلط الضوء على تأثير نوع تبيين الحقائق في إيجاد التطورات الاجتماعية الإيجابية والسلبية، وأن تتوقف عند بعض مصاديق تحريف الحقائق وتبيينها في الآيات والروايات وأثرهما في التطورات الاجتماعية السلبية والإيجابية، وأن تعرج على تصرفات أهل البيت (عليهم السلام)، في هذا المضمار. أظهرت النتائج أن بعض مصاديق تحريف الحقائق وتبيينها، عبارة عن: قصة داود النبي (عليه السلام)، وزوجة أوريا، وقصة النبي موسى (عليه السلام)، وتبيين الحقائق أمام شبهات فرعون، واستحباب الصيام في يوم عاشوراء. وتبين أيضا أن تصرفات أهل البيت (عليهم السلام)، في مسار التبيين الاجتماعي، عبارة عن: تبيين الحقائق بين جمهور الناس، وتبيين الحقائق بين المناهضين والمخالفين، وغيرهما.

الكلمات المفتاحية: جهاد التبيين في الآيات الكريمة، جهاد التبيين في الروايات الشريفة، التحريفات التاريخية

---

١. مدرس الحوزة العلمية، قم، إيران Email: mahdiqorbanzadeh14@gmail.com

١. المقدمة

مما لا يخامرنا شك، أن جميع المجتمعات البشرية قد شهدت تطورات عديدة على امتداد التاريخ. ولكن في العصر الحديث، قد تسارعت وتيرة هذه التطورات بشكل هائل. لقد ساهمت عوامل مختلفة في تسارع التطورات الاجتماعية، بما ذلك الحياة الحضرية، وحصول أفراد البشر على وسائل الإعلام الجماعي. فإذا كان الاتصال حتى الأمس يتم عن طريق تأليف الكتب، فإن وسائل الاتصال اليوم قد تغيرت على النحو التالي: ازدهار الحوليات، والشهريات، والفصليات، والأسبوعيات، والمجلات، والصحف، ثم المذياع، والتلفاز، ووكالات الأنباء، ثم الإنترنت، والمواقع الإلكترونية، وأخيرا، الشبكات الاجتماعية. في عصرنا الراهن، قد تركت وسائل الإعلام، وخاصة الشبكات الاجتماعية، تأثيرا هائلا على الحياة البشرية، بحيث إن الحكومات لا تستطيع فرض الرقابة على الأخبار بسهولة، الأمر الذي قد جلب الفرص المتنوعة والأضرار المختلفة للأفراد، والأسر، والقيم الدينية.

نعم، يتم إنتاج المعلومات واستهلاكها مثل السلع. في هذه الأثناء، أن الحكومات التي لا تملك أي سيطرة على طريقة الإنتاج، والتوزيع، والاستهلاك، ستواجه أزمات متعددة في ساحة الحكم بمرور الزمن. لا يمكن أن نلقي نظرة بسيطة على المعرفة، فبالتالي، نعتبرها مسألة فردية بحتة، بل كما ورد في علم اجتماع المعرفة، أن المعرفة مسألة اجتماعية. من ثم، فإن المعرفة مثل الأمن بحاجة ماسة إلى الرعاية الاجتماعية.

إذا لم تهتم الدولة الحقة ومفكروه بكشف الستار عن الأفكار والحقائق الكامنة في المسائل الاجتماعية والدينية، فإنه يخشى أن التيارات الباطلة والحكومات المستكبرة والحكومات المتغطرسة التي تلح على إدارة المعلومات، تغير مسار التاريخ والأحداث.

صفوة القول، أن هذه الورقة البحثية تسعى إلى الإجابة عن سؤال محوري، هو: ما هي ضرورة جهاد التبيين، بالاعتماد على توظيفاته الدينية والتاريخية؟

تأتي أهمية الدراسة من أن مجتمعنا يعاني من الحرب الإعلامية. فهذه الحرب مثل كل حرب أخرى، تستلزم الرد بالمثل. فعلى سبيل المثال لا الحصر، عندما شنّ صدام حسين المخلوع في الحرب المفروضة، هجمات صاروخية على بلادنا، فلم نقف مكتوفي الأيدي، بل عمدنا إلى إنتاج أنواع الصواريخ، لدرجة أننا اليوم نعتبر الأفضل في العالم في هذا الميدان. زد على ذلك، فإننا، علاوة على المواجهة الإعلامية ضد العدو، علينا أن نصب اهتمامنا على تبيين الحقائق في مسار تاريخ الإسلام، ودوره في الحفاظ على القيم وكذلك التطورات الاجتماعية.

تأسيسا على ذلك، فتتوخى هذه الدراسة من خلال المنهج الوصفي. التحليلي، أن تسلط الضوء على تأثير نوع تبيين الحقائق في إيجاد التطورات الاجتماعية الإيجابية والسلبية، وأن تتوقف عند بعض مصاديق تحريف وتبيين الحقائق وأثرهما في التطورات الاجتماعية، وأن تعرج على تصرفات أهل البيت (عليهم السلام)، في هذا المضمار.

١-١. خلفية البحث

أما بالنسبة إلى الدراسات السابقة، فلم يجد الباحث أي دراسة، تناولت الموضوع المدروس بشكل مستقل؛ ولكن أقرب الدراسات في هذا المجال هي ما يلي:

رسالة معنونة بگونه‌شناسی مصادیق جهاد تبیین در نهج‌البلاغه (= دراسة أنواع مصاديق جهاد التبيين في نهج البلاغة)، لسيد علي موسوي (١٤٠١هـ.ش). تسعى هذه الدراسة إلى إثبات أن سر ديمومة كل تيار واستمراره يكمن في مدى قوة تبيينه وإقناعه، وتصب تركيزها الأساسي على دراسة السيرة العلوية ونهج البلاغة، وفي نهاية المطاف، تتوصل إلى أن جهاد تبيين الإمام علي (عليه السلام)، لم يقتصر على أقواله، بل تعدتها إلى أفعاله أيضا. ولكن ما يميز هذه الدراسة عن دراستنا الحالية، هو أن الباحث قد اقتصر على أهمية جهاد التبيين في حياة الإمام علي (عليه السلام)، دون أن يتطرق إلى سائر توظيفاته الدينية والتاريخية.

مقالة تحت عنوان كاركردها و پيامدهاى جهاد تبيين در بين المللى شدن الگوى مقاومت از ديدگاه آيت‌الله خامنه‌اى (= وظائف ونتائج جهاد التبيين في تدويل نموذج المقاومة، من منظور آية الله الخامنئي)، لمحمد ملك زادة (١٤٠٢هـ.ش). تتناول هذه الدراسة مدى تأثير تبيين الحقائق في موضوع المقاومة، مؤكدة على أن عدم تبيين الحقائق، سيؤدي إلى عدم فهم المعنى الحقيقي للمقاومة وفوائدها و إنجازاتها من قبل الشعوب المضطهدة، وكذلك إلى عدم إدراك العواقب الوخيمة المترتبة على عدم المقاومة أمام نظام السلطة العالمي.

مقالة نقش جهاد تبيين در عبور از بحران جمعيت (= دور جهاد التبيين في التغلب على الأزمة السكانية)، لصادق رباني (١٤٠١هـ.ش). تتناول هذه الدراسة مدى تأثير تبيين الحقائق في مسألة الأزمة السكانية، تؤكد على أن مسألة تحديد النسل مسألة ثانوية، إلا أنها في ظروف الحاجة والاضطرار وبشكل مؤقت، وبحسب حكم الولي الفقيه، يمكن أن تتبدل إلى مسألة ذات أهمية قصوى. من هذا المنطلق، فيتعين على رجال الدين اللجوء إلى التثقيف والإقناع في ساحة جهاد التبيين والكشف عن المفاهيم الدينية.

مقالة شرايط كاميابى جهاد تبيين (= شروط نجاح جهاد التبيين)، لعلي فرهمنديان (١٤٠٠هـ.ش). تشير هذه الدراسة إلى الشروط والظروف التي توفر أرضية خصبة لتاثير تبيين الحقائق في التطورات الاجتماعية. فمن أهم هذه الشروط والظروف هو ما يلي: إضفاء طابع تخصصي على التبيين، والاهتمام بمستويات الجمهور، والاهتمام بأدوات التبيين، و إضفاء طابع جهادي على جهاد التبيين، والالتفات إلى مشاكل المجتمع، ومراعاة الأخلاق، والحفاظ على البيان المعقول والمنطقي، ونشر الأمل وحسن الظن بين أفراد المجتمع.

مقالة واكاوى شيوه‌هاى مقابله با نفوذ دشمن در جهاد تبيين مبتنى بر آموزه‌هاى صحيفه سجاديه (= دراسة تحليلية لطرق مواجهة نفوذ العدو في جهاد التبيين: تعاليم الصحيفة

السجادية أنموذجا)، لسيدة هانية مؤمن (١٤٠٢هـ.ش). تحاول هذه الدراسة أن تتصدى لمدى تأثير تبيين الحقائق في مواجهة نفوذ العدو، بالاعتماد على تعاليم الصحيفة السجادية، وتستنتج أن بيانات الإمام السجاد (عليه السلام)، تنقسم إلى القسمين: الدفاعي والهجومي.

مهما يكن من شيء، فما يميز هذه الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة هو أن الأخيرة لم تتطرق إلى أهمية جهاد التبيين وبروزه، بالاعتماد على توظيفاته الدينية والتاريخية.

٢. دراسة مفاهيمية للتبيين

إن لفظة «التبيين» مصدر من باب التفعيل، وتنحدر من مادة «بين»، وتعني تلقاء الشيء والتبيان وتفهيم المعنى (الزبيدي، ١٤١٤هـ، ج ١٨، ص ٧٨). فإن المراد منها في هذه الدراسة، هو التفهيم في الموضوعات الاجتماعية والدينية.

فإن التبيين له نوعان: يتسم النوع الأول بالطابع الاجتماعي، ويحتضن، علاوة على المواضيع والحقائق الاجتماعية، القضايا والحقائق السياسية، والثقافية، والاقتصادية، والأمنية أيضا. مما يسترعي الانتباه هنا، هو أن تبيين المواضيع والحقائق الاجتماعية مصحوب بمراعاة بعض المصالح، ويطمح إلى إقناع الرأي العام في ظل ظروف زمانية ومكانية خاصة.

وأما النوع الثاني، فيشتمل على العقائد والتعاليم الدينية. في مسرح التاريخ، نواجه على الدوام جماعة، كانت على وعي ومعرفة بالقيم الدينية، وجماعة أخرى كانت مقلدة فيها. إن الدين الإسلامي، على خلاف بعض الأديان الأخرى، دين تبليغي، يعطي وزنا بالغا للعلماء المبلغين. كانت ولاتزال القيم والعقائد الدينية بحاجة ملحة إلى التبيين، لكي تصبح أكثر وضوحا مع مرور الوقت. لا شك، أن هذه القيم والعقائد تكتسب تفاسير ومفاهيم أفضل من ذي قبل في مختلف الفترات التاريخية. من ثم، قد ورد في رواية: «رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج ١، ص ٤٠٣).

٣. مكانة الوعي والمعرفة والعقائد في الدين

إن الدين له ثلاثة جوانب: الفقه، والعقائد، والأخلاق. يرتبط الفقه بسلوكيات الإنسان وتصرفاته؛ وأما الأخلاق، فتحمل معنى عاما، يشمل الفقه أيضا. إن الأخلاق بمعنى تصفية الباطن، على علاقة مباشرة مع القلب. يرتبط الكلام والعقائد بالفكر أيضا، مهما كان الفكر هو فعل الروح (ملاصدرا، ١٣٦٣، ص٥٨٠)؛ ولكن بسبب أهميته وقيمته، يحتظي بمكانة مهمة في الدين الإسلامي.

هنا، يلوح للخاطر سؤال جوهري، هو: أي جانب من جوانب الدين يقع في قمة الهرم من حيث الأهمية والأولوية، وأيّها يحتل المرتبة الثانية، وأيها يأتي في المرتبة الثالثة؟ يستفاد من المصادر الدينية، أن الأخلاقيات المرتبطة بميول الإنسان القلبية، تقع في أعلى الهرم من حيث الأهمية والبروز. فلربما يعزى سبب ذلك إلى أن الله تعالى غرس الفطرة في عالم الذرّ، لكي يميل الإنسان بالفطرة إلى الخيرات والحسنات. يقول الله عز وجل: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ» (الأعراف ٧: ١٧٢).

في غياب الوعي والمعرفة، يعجز الإنسان عن العمل، وإن كان متحليا بالإيمان والتقوى. بعبارة أدق، فإن المعرفة الكلية بوجود الحق والباطل غير كافية، بل الإنسان عليه أن يعرف الحق والباطل في ميدان العمل، ما يظهر الحاجة إلى العلم. يشير القرآن الكريم إلى هذا الأمر البديهي، يقول: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (الزمر ٣٩: ٩). فإن «الضالين» الذين قد ورد الحديث عنهم في سورة الفاتحة المباركة، يراد منهم الذين يحملون نيات طيبة وأخلاقية، إلا أنهم قد انحرفوا عن جادة الصواب بسبب ضعف العقل والعلم. مما يعزز هذه الدعوى، هو أن التعبيرين، أي «الضالين» و«مغضوب عليهم» اللذين قد ذكِرا جنبا إلى جنب، متقابلان لا يجتمعان. من هنا، يظهر أن تعبير «مغضوب عليهم» يدل على الذين يعاندون الله تعالى، وأن تعبير «الضالين» يدل على الذين قد انحرفوا عن الطريق الإلهي، فضلّوا الطريق القويم جهلا، ولا عنادا (جعفري، ١٣٧٦هـ.ش، ج١، ص٣١).

إن القرآن الكريم في بعض آياته الشريفة، يؤكد على المعرفة، ويخاطب أصحاب الفكر، يقول: «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» (الرعد ١٣: ١٩؛ الزمر ٣٩: ٩).

في هذا السياق، يقول الرسول الأكرم (ﷺ): «تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ» (الكوفي الأهوازي، ١٤٠٢هـ، ص١٥). ولقد نقل «عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَال: تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ» (العياشي، ١٣٨٠هـ، ج ٢، ص ٢٠٨).

بما أن الأحاسيس توجّه الفكر والعلم الإنسانيين، فقد خصص الله سبحانه في باطن الإنسان قاعدة خاصة لها، حتى توجّه الأفكار كلها إلى الله تعالى. يدعو هذا الاتجاه الأساسي العقلَ العملي إلى نفسه، كما يقول الله جل جلاله: «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا» (الشمس ٩١: ٨).

إن هذه القاعدة الداخلية التي تدعى الفطرة، يحتاج مبدأ وجودها إلى الاستدلال. فهي توجد في بواطن جميع أفراد البشر على السوية، ويتعذر تجاهلها، مهما كانت قابلة للتضاؤل والضعف (مطهري، ١٣٩٣هـ.ش، ج ٣، ص ٦١٢). يقول الله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله» (الروم ٣٠: ٣٠). فتقدر الفطرة على أن توجّه العقل النظري والعقل العملي على السوية.

ولكن الإشكالية تكمن في أن الاتجاهات البشرية قد تكون على خلاف الفطرة التوحيدية. فإذا وقعت الميول والاتجاهات الاجتماعية في الطريق الباطل، فكيف يمكن إعادتها إلى الطريق الحق؟ في الجواب، نقول: يتعين علينا أن نحرص على التهذيب الاجتماعي وتطبيق برامج الأخلاق الفردية، وأن نغيّر جميع أصناف المعرفة. من الطريف، أن البرامج التهذيبية في بعض الأحيان لا تخلّف أثرا كثيرا في بعض الناس؛ ذلك لأنهم بسبب انغماسهم في الشكوك، لم يعودوا راغبين في القيم والبرامج الأخلاقية.

قصارى القول، أن إعادة بناء المعرفة واللجوء إلى أنواع التبيين الاجتماعي، يسهمان إسهاما بارزا في تنظيم الاتجاهات والميول الفردية والاجتماعية.

٤. أهمية تبيين الحقائق من منظور التطورات الاجتماعية

في ثلاث حالات، يحتظي تبيين الحقائق بأهمية أساسية، وهي عبارة عن: الحالة الأولى هي اندلاع نيران الفتن السياسية والاجتماعية؛ والحالة الثانية هي ضمان مسار حركة المجتمع نحو الألوهية؛ والحالة الثالثة هي بطء حركة التقدم الاجتماعي دون أنواع التبيين الاجتماعي.

لا شك، أن الإنسان يظل بحاجة ملحة إلى المعرفة. لكن تشتد هذه الحاجة في بعض الظروف، وبالتالي، يصير جهاد التبيين حتمية لا مفر منها. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يكفي كل كفاية أن نعلم أنه في الاحتجاجات الإيرانية ٢٠٢٢ للميلاد، لعبت بلدان كثيرة دورا بارزا في الإطاحة بنظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية. فهل لا يكفي هذا الأمر لبيان أهمية جهاد التبيين؟

على مدى العقود الماضية، قد شهدت البلاد فتنة كبيرة بشكل افتراضي. بعبارة أحرى، فتبث مئة قناة فضائية ناطقة باللغة الفارسية برامجها مجانا، وتدير وكالات الاستخبارات الأمريكية، والبريطانية، والسعودية، والإسرائيلية، عدة آلاف من القنوات على الشبكات الاجتماعية؛ بالإضافة إلى ذلك، يقوم عدد كبير من المعارضين بإنتاج المحتوى على الشبكات الاجتماعية. فهم كلهم يسعون إلى أن يقدّموا تفسيرا جديدا من الحقائق، حتى يغيروا نظرة الشعب الإيراني إلى القيم الدينية، والوطنية، والاجتماعية، والأمنية. في هذه الحالة، أليس السكوت، والتجاهل، وغضّ الطرف عن الحقائق جريمة، لا تغتفر لأهل العلم والثقافة؟

في الحقيقة، أن الجهاد لا يقتصر على الشؤون العسكرية والأمنية فحسب، وإنما الجهاد في القرآن الكريم يحمل معنى عاما، بحيث يقول الله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» (الحجرات ٤٩: ١٥).

عموما، فإن الجهاد أمر اجتماعي، ولا فردي. لا شك، أن الدولة والحوزات العلمية، يجب أن تنزل إلى ميدان العمل بتعاون رائع إيجابي، وأن لا تكتفي بالتصرفات الفردية لبعض المتعاطفين على شبكات التواصل الاجتماعي.

باختصار، في الوضع الحالي، لا ينبغي أن يتم التبيين بشكل فردي، بل يجب أن يتم بشكل منسجم، واجتماعي، ومُدارٍ، حتى يمكن القول إن جهاد التبيين قد تحقق في أرض الواقع.

من جملة المسائل التي تضفي على التبيين طابع الضرورة، هو أنه يسهم إسهاما فعالا في توجيه الميول الاجتماعية. في تعبير آخر، أن جهاد التبيين أداة لضمان توجيه الميول الاجتماعية إلى مبدأ التوحيد. فيقول القرآن الكريم: «اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» (البقرة ٢: ٢٥٧). فتدل هذه الآية الكريمة على أن المجتمع الإلهي يعرض عن ظلام الجهالة الثقافية إلى ضياء الإيمان، الأمر الذي لن يتحقق إلا عن طريق التمسك بالولاية واللجوء إليها. في الحقيقة، أن الناس عندما يعانون من الجهل وعدم المعرفة وغياب الوعي، يعجزون عن النمو الفكري، ما يعكس بوضوح أن النمو الفكري يستوجب تبيين المسائل الدينية والاجتماعية على مستوى المجتمع.

زد على ذلك، فإن التبيين يوفّر أرضية خصبة لتصميم برنامج التنمية الاجتماعية أيضا. فإذا لم يتم التبيين، فسيتم تصميم برنامج التنمية الاجتماعية ببطء. بعبارة أدق، أن المجتمع قد يشهد بعض الفتن الخطيرة التي تهدد كيانه، بحيث يصبح بحاجة ملحة إلى التبيين، من أجل فهم الحقائق وتمييزها عن الأكاذيب والافتراءات والحيل.

زد على ذلك، فإن المجتمع قد يحتاج إلى التبيين، بهدف النمو الاجتماعي. في تعبير آخر، أن المجتمع الإلهي يجب أن يتبع البرامج والخطط الثقافية، والأمنية، والاقتصادية، والسياسية، حتى يصل إلى النمو الاجتماعي المنشود. بما أن هذه البرامج والخطط لا يمكن تنفيذها دفعةً واحدة، فمن الضروري أن لا تدخر وسائل الإعلام أي جهد في مسار

التبيين والتوجيه، حتى لا تواجه هذه البرامج والخطط مقاومة سلبية في طريق تنفيذها على أرض الواقع.

يحظى تبيين الحقائق بأهمية قصوى، بحيث إن القرآن الكريم يقول: «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» (النساء ٤: ٩). تحكي هذه الآية المباركة أن المؤمنين عليهم نقل معلومات صحيحة إلى الجيل القادم.

بشكل عام، عندما كان يبعث رسولٌ في قومٍ ما، كان يصب اهتمامه على تبيين الحقائق، والإتيان بالبيّنة لإثبات نبوّته. في الحقيقة، أن البينة أو المعجزة كانت شاهدة على صحة ادعائه. فحين كان الناس يكذبّونه، ويعرضون عن بيناته ومعجزاته، كانوا يتعرضون بذلك لعقوبة الله. تستفاد من القرآن الكريم، قاعدة عامة، تظهر أن الله تعالى لا يعذّب قوما، إلا بعد أن ينذرهم ويبيّن الطريق لهم. فعلى سبيل المثال، يشير الله تعالى إلى قصة النبي لوط (عليه السلام)، والقضاء على قومه، ويجعلها بيّنة لقوم يعقلون: «وَلَقَد تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (العنكبوت ٢٩: ٣٥)، ويقول سبحانه حول قصة النبي صالح (عليه السلام)، وقومه: «وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (الأعراف ٧: ٧٣)، ويقول عز وجل في موضع آخر: «وَلٰكِن لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ» (الأنفال ٨: ٤٢)، يؤكد على أن الذين يستنكفون عن قبول البيّنة، يجب أن ينتظروا العذاب الإلهي في الدنيا والآخرة، ثم يشير إلى بني إسرائيل، يقول: «سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (البقرة ٢: ٢١١).

صفوة القول، أن تبيين الحقائق كان ولايزال أمرا ضروريا لا مفر منه، على رغم من أنه يصبح في بعض الحالات أكثر ضرورة.

٥. نوع تبيين الحقائق، مصدر التطورات الاجتماعية الإيجابية والسلبية

في الحقيقة التي لا مراء فيها، أن نوع الرواية عن الحقائق، يؤدي إلى ظهور مختلف التطورات الاجتماعية الإيجابية والسلبية. فإن أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أداة مهمة لضمان التطورات الاجتماعية. من ثم، فإن الدين الإسلامي قد وضع أصلا، يدعى أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يضمن بقاء القيم، وزوال القيم المضادة في ساحة المجتمع. في تعبير آخر، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهان لعملة واحدة.

يقول فخر الدين الطريحي في مجمع البحرين: «المعروف، اسم لكل فعل، يعرف حسنه بالشرع والعقل، من غير أن ينازع فيه الشرع» (١٣٧٥هـ، ج ٥، ص ٩٣)، وكذلك يقول: «المنكر في الحديث ضد المعروف. وكلما قبحه الشارع، وحرّمه، فهو منكر. يقال : أنكر الشيء ينكره، فهو منكر، واستنكره، فهو مستنكر» (المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٠١)، ويتابع قائلا: «المعروف الذي يذكر في مقابله الحسن المشتمل على رجحان، فيختص بالواجب والمندوب، ويخرج المباح والمكروه، وإن كانا داخلين في الحسن» (المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٠٢).

باختصار، أن المعروف يطلق على القيم الدينية، وأن المنكر يطلق على القيم المضادة التي قد استقبحها الإسلام. إذن، فإن أصل الأمر بالمعروف يدعو الآخرين إلى ممارسة الأمور المحمودة عند الشارع المقدس؛ وفي المقابل، فإن أصل النهي عن المنكر يردعهم عن القيام بالأمور المذمومة عنده سبحانه. لا يفوتنا، أن هذه الدعوة ليست لفظية محضة، بل يكتسي أحيانا طابع العمل أيضا.

لقد جعل الله تعالى الميل إلى القيم والنفور من القيم المضادة في بواطن المؤمنين والمجتمع الإلهي. يقول الله تعالى في هذا الصدد: «وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ» (الحجرات ٤٩: ٧).

يشير القرآن الكريم إلى نقطة مثيرة للانتباه في هذا المجال، يقول: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ» (آل عمران ٣: ١١٠).

لقد جعل القرآن الكريم هذا الأصل أداة مهمة لضمان تقدم المجتمع الإسلامي في جوانب الحياة كافة، وطلب من المؤمنين تطبيق هذا الأصل على مستوى المجتمع بشكل منسجم ومنظّم، حتى يستطيع المجتمع عبر اللجوء إلى الإصلاحات المعقولة والمنطقية، أن يضع قدميه في طريق التقدم، ويصل إلى ذروة الكمال والسعادة، يقول: «وَلْتَكُن مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (آل عمران ٣: ١٠٤).

وأما في المجتمع الكافر والمنافق، فالوضع معاكس تماما؛ ذلك لأن أفراده يأمرون بعضهم بعضا بالمنكر، وينهون عن المعروف. يقول الله تعالى: «الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (التوبة ٩: ٦٧).

ولكن إذا كان من المقرر أن يتحقق هذا الأصل بشكل فردي، يحتاج إلى شروط، قد أوردها الفقهاء في رسائلهم العملية، بما في ذلك المعرفة بنفس المعروف والمنكر، واحتمال تأثيرهما، وهكذا دواليك.

في هذه الأثناء، أن المنظمات الاجتماعية غير الحكومية يجب أن تركز على هدفين رئيسين، هما: كونها تخصصية؛ والرقابة والإشراف على تصرفات أصحاب القوة والجمهور.

بما أن الدين الإسلامي دين حيّ وبنّاء، فله برنامج إصلاحي للإنسان والمجتمع. قد ورد برنامج التطور الفردي للإنسان في الكتب الأخلاقية والعرفانية. ولكن الشيء الذي ينبغي أن يقع اليوم في بؤرة الاهتمام، هو تبيين تطور المجتمع من المنظور الاجتماعي. فهذا الأمر يحتاج علميا إلى قسط وفير من السعي والتحقيق. فليس الأمر أن برامج كهذه قد تم تبيينها

وتوضيحها مسبقا، وأن المرحلة المقبلة لن تكون إلا مرحلة العمل والتنفيذ على أرض الواقع. في الحقيقة أن هذا هو مسألة نمط الحياة الإسلامية التي بحاجة ملحة إلى التنظير، حتى تنكشف حقيقتها الكامنة.

في هذا السياق، فيتعين على رجال الدين أن يصبوا تركيزهم الأساسي علميا على تصميم نمط الحياة الإسلامية في العالم اليوم، وأن يشرفوا على جميع أركان الحكم الإسلامي، حتى يصل المجتمع الإسلامي في النهاية إلى غايته المنشودة، ألا وهي الوصول إلى الحضارة الإسلامية.

من جانب آخر، أن الطواغيت والجبابرة يسعون إلى أن يغيّروا مصير ملة أو شعبٍ ما، عن طريق اللجوء إلى الهندسة العكسية أو التفاسير والتوجيهات غير الحقيقية والمتحيزة.

هاهو سماحة الأستاذ مرتضى مطهري يشير في أحد مؤلفاته إلى مسألة التحريف أو قلب الحقائق وآثارها السيئة ونتائجها السلبية، ويعتبرها من المصائب الفادحة التي تعاني منها المجتمعات البشرية، يقول:

> باسم إعلان حقوق الإنسان، تغمط حقوق البشر. باسم المنظمات والمؤسسات الثقافية التي تهتم بإصدار الكتب وإسداء الخدمات الثقافية إلى أفراد البشر، يتعرض أفرادُ البشر للخيانة. باسم المنظمات الصحية، يؤسس النصارى المستشفيات المتعددة، إلا أنهم يطمحون إلى أن يسرقوا أرواح الناس، وأن يستعمروا أفكارهم، وأن يجعلوها مسمومة. كل عمل خير، خارجه برّاق، وباطنه تفوح منه رائحة المكر والخداع. فإن تفشي النفاق والخداع والمكر مصيبة فادحة للمجتمع البشري في عصرنا الراهن (١٣٩٣هـ.ش، ج ٢٥، ص ١٥٤).

الحاصل، أن نوع الرواية عن الحقائق يؤدي إما إلى التطورات الاجتماعية الإيجابية، أي بقاء القيم وإشاعتها، وإما إلى التطورات الاجتماعية السلبية، أي استبدال القيم بالقيم المضادة. فيما يلي، نسعى أن نشير ـ قدر المستطاع ـ إلى مختلف مصاديق التبيين والتحريف.

٦. بعض مصاديق تحريف وتبيين الحقائق وأثرهما في التطورات الاجتماعية

إن بعض مصاديق تحريف وتبيين الحقائق وأثرهما في التطورات الاجتماعية، تتمثل فيما يلي:

٦-١. النبي موسى (عليه السلام)، وتبيين الحقائق أمام شبهات فرعون

تشير سورة الشعراء المباركة إلى ما جرى بين النبي موسى (عليه السلام)، وفرعون. تروي لنا الآيات في هذه السورة، مشهدا، يقصد فيه النبي موسى (عليه السلام)، قصر فرعون، بعد أن فرّ من مصر بسبب قتل القبطي عن طريق الخطأ، وبقي عند شعيب في مدين زهاء عشر سنوات. في هذه اللحظات الحاسمة، جرى حوار مثير للاهتمام بين النبي موسى (عليه السلام)، وفرعون، بحيث لم يصمت النبي موسى (عليه السلام)، أمام مزاعم فرعون الكاذبة وادعاءاته الزائفة، بل دحضها بالحجج البالغة والأجوبة الدامغة. فعلى سبيل المثال، أن فرعون منّ عليه (عليه السلام)، وعدّد له ما فعله من الخير، فقال: «قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ - وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» (الشعراء ٢٦: ١٨ـ١٩)، فقال النبي موسى (عليه السلام)، في الرد عليه: «فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ » فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ » وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ» (الشعراء ٢٦: ٢٠ـ٢٢).

٦-٢. قصة فتح أريحا وتبيين النقيبين من مجموع النقباء

تشير الآيات ٢٠ـ٢٦ من سورة المائدة المباركة، إلى قصة من قصص بني إسرائيل. تحكي هذه الآيات، أن النبي موسى (عليه السلام)، كان بحاجة إلى بعض النقباء لإيجاد العلاقة مع بني إسرائيل؛ ذلك لأن عدد سكان بني إسرائيل كان كبيرا. فهم كانوا يتشكلون من اثني عشر سبطا. فاختار النبي موسى (عليه السلام)، من كل سبط من هذه الأسباط، نقيبا، يتفقد شؤون

قومه وأحواله، ويكون كفيلا عليهم. ففي قصة فتح مدينة أريحا، أمر النبي موسى (عليه السلام)، بني إسرائيل بالدخول على أريحا مدينة الجبارين، ومقاتلتهم، وإجلائهم إياهم عن بيت المقدس، إلا أنهم خافوا من هؤلاء الجبابرة، فأبوا ونكلوا عن الجهاد. يقول الله تعالى: «قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ» (المائدة ٥: ٢٢ ـ ٢٤). تحكي هذه الآيات أن الرجلين الصالحين من النقباء أمراهم بالإقدام، ونهياهم عن الإحجام والنكول عن الجهاد، فبدأآ بتبيين الحقائق وإرشاد الناس؛ ولكن دون جدوى.

على رغم من أن تبيين هذين الرجلين الصالحين لم يجدٍ شيئا، إلا أن الله تعالى أثنى عليهما في القرآن الكريم، بسبب جهودهما الجهيدة في تبيين الناس وتوجيههم، وأخلد اسميهما في سجلات التاريخ، وجعلهما قدوة حسنة للمؤمنين على امتداد التاريخ البشري. من اللافت أن أحدهما كان يوشع بن نون الذي صار وصي النبي موسى (عليهما السلام)، بين بني إسرائيل بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى (البحراني، ١٤١٦هـ، ج ٢، ص ٢٦٨).

من الصحيح، أن النبي موسى (عليه السلام)، أخفق في كبح جماح هذا القوم العاتي، إلا أن مواعظه الصائبة ونصائحه الثمينة لم تكن خالية من التأثير، ولو بقدر ضئيل. فبعد أن بني إسرائيل عوقبوا على نكولهم بالتيهان في الأرض، حيث لم يخرج أحد من التيه ممن دخله، بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة، ومات النقباء غير يوشع بن نون وكالب، نشأ ذراريهم، فخرجوا بقيادة يوشع بن نون إلى حرب أريحا، وفتحوها، واستحوذوا عليها (الطبرسي، ١٣٧٢هـ، ج ٣، ص ٢٨١).

٦-٣. النبي يوشع بن نون (عليه السلام)، وتبيين الحقائق ضد محاولة صفورة لإثارة الفتنة

إن زوجة النبي موسى (عليه السلام)، صفورة، كانت نموذجا للمؤمنة، بحيث وصفت في القرآن الكريم بصفة عظيمة، ألا وهو الحياء. مع ذلك، فإن أصحاب الفتنة حرّضوها على الخروج على وصي موسى، يوشع بن نون (عليهما السلام)؛ إذ كانت تعتقد أن ابنها أحق بالأمر منه. فنتيجة على ذلك، فإنها شنت هجوما عنيفا، تسبب في إرماد البلاد و إهلاك العباد.

في المقابل، لم يقف يوشع بن نون (عليه السلام)، مكتوف الأيدي، بل بدأ بتبيين الحقائق، ولجأ إلى المواجهة العسكرية ضدها. اندلعت نيران الحرب لصالح صفورة من بداية اليوم إلى قبل الظهر؛ ولكن انقلبت موازينها بشكل حاسم لصالح لنبي يوشع بن نون (عليه السلام)، من قبل الظهر إلى قبل زوال الشمس، حتى ظفر بها. في هذه الأثناء، أن بعض أتباع يوشع بن نون (عليه السلام)، أشاروا عليه بقتلها، فقال لهم: قد عرفني موسى أمرها وخروجها، وأمرني أن أحفظه فيها وأحسن صونها (المسعودي، ١٣٨٤هـ، ص ٦٥ ـ ٦٦).

٦-٤. قصة النبي داوود (عليه السلام)، وزوجة أوريا

من جملة نماذج تحريف الحقائق، ما يعود إلى قصة داود النبي (عليه السلام)، وزوجة أوريا. اتهم بنو إسرائيل النبي داود (عليه السلام)، بأنه في يوم من الأيام رأى زوجة أوريا، تغتسل، فأعجبه جمالها، فأولع بها. من ثم، فكّر في حيلة، يتخلص بها من زوجها، لتزوجها هو. فأوصى بأن يكون زوجها في مقدمة التابوت حتى يقتل في الحرب. فبعد استشهاده في ساحة الوغى، تزوجها. يدحض الإمام الرضا (عليه السلام)، هذه الشبهة المثارة، يقول:

> إن المرأة في أيام داود عليه السلام، كانت إذا مات بعلها أو قتل، لا تتزوج بعده أبدا. وأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة، قتل بعلها، كان داود عليه السلام، فتزوج بامرأة أوريا، لما قتل، وانقضت عدتها منه؛ فذلك الذي شق على الناس من قبل أوريا (الصدوق، ١٣٧٨هـ، ج ١، ص ١٩٤).

فإن الإمام الرضا (عليه السلام)، علاوة على إثبات عصمة الأنبياء من ارتكاب الذنوب واجتراح المعاصي، حاول أن يسد في أذهان العامة إحدى ذرائع المعصية، ألا وهي الشبهة العقائدية.

٦-٥. معاوية بن أبي سفيان وشراء بعض الأفراد الطامعين لبيان فضائل الخلفاء الثلاثة الأوائل

لجأ معاوية بن أبي سفيان إلى طرق مختلفة، للتفوق على علي بن أبي طالب (عليه السلام). فعلى سبيل المثال، أنه كان يعطي المال للبعض، حتى يعلوا من شأن الخلفاء الثلاثة الأوائل؛ وفي المقابل، يحطوا من شأن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ويقللوا من قدره، ويرسموا صورة مشوهة له (الهلالي، ١٤٠٥هـ، ج ٢، ص ٧٨٥).

في هذا السياق. أن شراء سمرة بن جندب كان من جملة التصرفات السيئة لمعاوية بن أبي سفيان. كان سمرة بن جندب من صحابة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وشارك في كثير من الغزوات، إلا أنه كان بخيلا شحيحا. لقد روي أن معاوية بن أبي سفيان أعطاه أربع مئة ألف درهم، ليطعن في علي بن أبي طالب، ويضع الحديث ضده (ابن طاووس، ١٣٧٩هـ.ش، ص ٦٠).

٦-٦. استحباب الصيام في يوم عاشوراء

يعتبر تحريف ثورة عاشوراء من جملة مصاديق تحريف الحقائق. بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام)، والعديد من أهل بيته وأنصاره، استجمع الأعداء الألداء قواهم لتبرير هذه الجريمة الشنيعة التي لم يسبق لها مثيل من قبل. فعلى سبيل المثال، أنهم زيفوا باسم العرفان، بعض الأحاديث المكذوبة على لسان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، واعتبروا صيام يوم عاشوراء من العبادات التي حث عليها النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، لما في ذلك اليوم من فضل كبير وبركة وأجر عظيم. لقيت هذه الروايات قبولا واسعا بين أهل السنة، لدرجة أنها من الروايات المتضافرة (النسائي، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص ١٥٧-١٦٢؛ مالك بن أنس، ١٤٢٥هـ، ج ٣، ص ٤٢٨-٤٢٩؛ ابن حنبل، ١٤١٦هـ، ج ٤، ص ٣٩٣؛ الدارمي، ١٤٢١هـ، ج ٢، ص ١١٠٤-١١٠٦).

٧. تصرفات أهل البيت (عليهم السلام)، في أنواع التبيين الاجتماعي

من جملة تصرفات أهل البيت الطاهرين (عليهم السلام)، في أنواع التبيين الاجتماعي، يمكن الإشارة ما يلي:

٧-١. تبيين الحقائق بين جمهور الناس

عندما نلقي نظرة تأملية على حياة أهل البيت (عليهم السلام)، يمكن أن نشهد بوضوح تبيين الحقائق بين جمهور الناس. فعلى سبيل المثال لا الحصر، أن الإمام الصادق (عليه السلام)، كان يبعث بمبلغيه إلى كل أصقاع العالم الإسلامي آنذاك. لقد روي أن «مُحَمَّد بْن يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام، يَقُولُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْأَحْوَلِ، وَأَنَا أَسْمَعُ أَتَيْتَ الْبَصْرَةَ، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَ مُسَارَعَةَ النَّاسِ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ وَدُخُولَهُمْ فِيهِ؟ قَالَ: وَالله إِنَّهُمْ لَقَلِيلٌ، وَلَقَدْ فَعَلُوا وَإِنَّ ذَلِكَ لَقَلِيلٌ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالْأَحْدَاثِ، فَإِنَّهُمْ أَسْرَعُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ» (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج ٨، ص ٩٣).

٧-٢. تبيين الحقائق بين المعارضين

بعد مصيبة عاشوراء، ألقى الإمام السجاد (عليه السلام)، خطبة حماسية، فضح فيها يزيد في مجلسه، وهزّ أركان دولته الباطلة. فهو (عليه السلام)، وفّق في المزج بين الأحاسيس والعقلانية في خطبته الغراء، وترك تأثيرا بارزا في أهل المجلس، ودافع بالأدلة الدامغة عن أحقية أهل البيت (عليهم السلام)، لدرجة أن الجلسة انتهت لصالحهم، ودعا يزيد بن معاوية أهل البيت (عليهم السلام)، إلى قصره، وناح برفقتهم على مصيبة الإمام الحسين (عليه السلام)، وجزع.

في ما جرى في ثورة عاشوراء، كان يدري كل إنسان عاقل جيدا أن الطريق الذي يسلكه الإمام، ينتهي إلى الشهادة في سبيل الله. ولكن بما أن الإمام الحسين (عليه السلام)، كان يطمح إلى إقامة التوحيد على امتداد التاريخ، وما كان يهتم بالوضع الراهن، فعمد إلى تبيين الحقائق

في مسار كربلاء، وألقى العديد من الخطب الغراء في جميع المنازل (أبو مخنف الكوفي، ١٤١٧هـ، ص ١٥٧ـ ١٧٧)، لدرجة أنه (عليه السلام)، عندما التقى بجيش حر بن يزيد الرياحي، ألقى خطبة حماسية إزاءه (المصدر نفسه، ص ١٦٩).

على رغم أن ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، فشلت في ظاهر الأمر، إلا أن تبيين الإمام وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، تكلل في النهاية بالنجاح، بحيث لم تدم الحكومة الأموية طويلا.

٧-٣. تبيين الحقائق في ساحة الوغى

نشهد في الحياة الكريمة لأهل البيت الطاهرين (عليهم السلام)، نماذج عالية من محاولتهم لتبيين الحقائق في ساحة الوغى، منها محاجة الإمام علي (عليه السلام)، مع طلحة وزبير (المدني، ١٤٢٠هـ، ص ١٣١ـ ١٣٨).

٧-٤. تبيين الحقائق بين الأصدقاء

كانت بعض الجلسات المنعقدة في حضور أهل البيت (عليهم السلام)، هي جلسات الأصدقاء. في هذه الجلسات، كان يحرص الأئمة (عليهم السلام) على تبيين الحقائق و إماطة اللثام عنها. لقد روي أن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال في إحدى هذه الجلسات الودّية: «وَلَنَا حَرَماً، وَهُوَ قُم، وَسَتُدْفَنُ فِيهِ امْرَأَةٌ مِنْ وُلْدِي، تُسَمَّى فَاطِمَةَ. مَنْ زَارَهَا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج ٥٧، ص ٢١٦). من الثابت، أن المراد من فاطمة في هذه الرواية الشريفة، هي فاطمة المعصومة (عليها السلام)، التي ازدهرت حوزة قم العلمية بفضل وجودها المبارك فيها، بحيث إنها قد صارت اليوم من أهم الحوزات العلمية في العالم الإسلامي.

٧-٥. تبيين الحقائق بين العلماء

إن كتاب احتجاجات الطبرسي مشحونة بمناظرات أهل البيت (عليهم السلام)، وعلى وجه التحديد مناظرات الإمام الصادق (عليه السلام) والإمام الرضا (عليه السلام)، مع العلماء والمفكرين. لقد

وردت غالبية ساحقة من مناظرات الإمام الرضا (عليه السلام)، مع أهل العلم والمعرفة وعلماء سائر الأديان المختلفة في كتاب عيون أخبار الرضا. فعلى سبيل المثال، عندما «جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا (عليه السلام)، أهل المقالات، فلم يقم أحد إلّا وقد ألزمه حجّته، كأنّه أُلقم حجراً، قام إليه علي بن محمّد بن الجهم، فقال له: يا ابن رسول الله، أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: نعم. قال: فما تعمل في قول الله عزّ وجلّ: «وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ». فقال الرضا (عليه السلام): وأمّا قوله عزّوجلّ في آدم عليه السلام: «وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ»، فإنّ الله عزّوجلّ خلق آدم حجّة في أرضه وخليفته في بلاده، لم يخلقه للجنّة، وكانت المعصية من آدم في الجنّة، لا في الأرض، وعصمته يجب أن تكون في الأرض، ليتمّ مقادير أمر الله، فلمّا أهبط إلىٰ الأرض وجعل حجّة وخليفة عُصم بقوله عزّ وجلّ» (الصدوق، ١٣٧٨هـ، ج ١، ص ١٩٢).

الخاتمة

في نهاية هذا المقال، يمكن استخلاص النتائج التالية:

إذا كان أحد من أبناء البشر مفتقرا إلى المعرفة، فسيعجز عن العمل، مهما كان متزودا بالإيمان والتقوى. في عبارة أدق، فإن المعرفة الكلية بوجود الحق والباطل غير كافية، بل الإنسان عليه أن يعرف الحق والباطل في ميدان العمل، ما يُظهر الحاجة الماسة إلى العلم والمعرفة. من ثم، نلاحظ أن القرآن الكريم يعتبر عدم الاستواء بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، أمرا بديهيا. لا شك أن إعادة بناء المعرفة واللجوء إلى أنواع التبيين الاجتماعي، يسهمان إسهاما بارزا في تنظيم الاتجاهات والميول الفردية والاجتماعية.

في ثلاث حالات، يحتظي تبيين الحقائق بأهمية خاصة، وهي: الحالة الأولى هي اندلاع نيران الفتن السياسية والاجتماعية؛ والحالة الثانية هي ضمان مسار حركة المجتمع نحو الألوهية؛ والحالة الثالثة هي بطء حركة التقدم الاجتماعي، دون أنواع التبيين الاجتماعي.

يمثل أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أهم أداة لضمان التطورات الاجتماعية الإيجابية على مستوى المجتمع. لقد جعل القرآن الكريم هذا الأصل أداة مهمة لضمان التقدم والازدهار في جميع جوانب المجتمع الإسلامي، وطلب أيضا من المؤمنين تطبيق هذا الأصل على مستوى المجتمع بشكل منسجم ومنظّم، حتى يستطيع المجتمع عبر اللجوء إلى الإصلاحات المعقولة والمنطقية، أن يضع قدميه في طريق التقدم، ويصل إلى ذروة الكمال والسعادة. من جانب آخر، أن الطواغيت والجبابرة يسعون إلى أن يغيروا مصير ملة أو شعبٍ ما، عن طريق اللجوء إلى الهندسة العكسية أو التفاسير والتوجيهات غير الحقيقية والمتحيزة.

فمن جملة مصاديق التحريف وتبيين الحقائق والتطورات الاجتماعية في الآيات الكريمة والروايات الشريفة، يمكن الإشارة إلى ما يلي: قصة النبي داود (عليه السلام)، وزوجة أوريا، وقصة النبي موسى (عليه السلام)، وتبيين الحقائق أمام شبهات فرعون، وقصة فتح أريحا وتبيين الحقائق من قبل النقيبينِ، وقصة يوشع النبي (عليه السلام)، وتبيين الحقائق ضد محاولة صفورة لإثارة الفتنة، وقصة معاوية وشراء الأفراد من أجل تبيين فضائل الخلفاء الثلاثة الأوائل، واستحباب الصيام في يوم عاشوراء.

وأما من جملة تصرفات الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، في مسار تبيين الحقائق، فعبارة عن: تبيين الحقائق بين جمهور الناس، وتبيين الحقائق بين المعارضين، وتبيين الحقائق في ساحة الوغى، وتبيين الحقائق بين الأصدقاء، وتبيين الحقائق بين العلماء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أ. العربية

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. (١٤١٦هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق عامر غضبان وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو مخنف الكوفي، لوط بن يحيى. (١٤١٧هـ). وقعة الطفّ. تصحيح محمد هادي يوسفي غروي. ط ٣. قم: جامعة مدرسين.
البحراني، السيد هاشم. (١٤١٦هـ). البرهان في تفسير القرآن. تحقيق قسم الدراسات الإسلامية. طهران: مؤسسة البعثة.
الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن. (١٤٢١هـ). مسند الدارمي (سنن الدارمي). الرياض: دار المغني.
الزبيدي، أبو الفيض مرتضى محمد بن محمد. (١٤١٤هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. تصحيح علي هلالي وعلي سيري. بيروت: دار الفكر.
الصدوق، محمد بن علي بن بابويه. (١٣٧٨هـ). عيون أخبار الرضا (عليه السلام). تحقيق مهدي لاجوردي. طهران: جهان.
الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي. (١٤٠٣هـ). الاحتجاج على أهل اللجاج. تصحيح محمد باقر خرسان. مشهد: مرتضى.
الطبرسي، الفضل بن الحسن. (١٣٧٢هـ). مجمع البيان في تفسير القرآن. تحقيق محمد جواد بلاغي. ط ٣. طهران: ناصرخسرو.
الطريحي، فخر الدين بن محمد. (١٣٧٥هـ). مجمع البحرين. ط ٣. طهران: مرتضوي.
العياشي، محمد بن مسعود. (١٣٨٠هـ). تفسير العيّاشي. تحقيق السيد هاشم رسولي محلاتي. طهران: المطبعة العلمية.
الكليني، محمد بن يعقوب. (١٤٠٧هـ). الكافي. تحقيق علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي. ط ٤. طهران: دار الكتب الإسلامية.
الكوفي الأهوازي، الحسين بن سعيد. (١٤٠٢هـ). الزهد. تحقيق غلام رضا عرفانيان يزدي. ط ٢. قم: المطبعة العلمية.
مالك بن أنس. (١٤٢٥هـ). موطأ الإمام مالك. تحقيق محمد مصطفى الأعظمي. أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية.
المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي. (١٤٠٣هـ). بحار الأنوار. ط ٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
المدني، ضامن بن شدقم بن علي. (١٤٢٠هـ). وقعة الجمل. تصحيح السيد تحسين آل شبيب الموسوي. قم: محمد.
المسعودي، علي بن الحسين. (١٣٨٤هـ). إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب. ط ٣. قم: أنصاريان.

الملاصدرا، صدر الدين محمد بن إبراهيم. (١٣٨٣هـ). شرح أصول الكافي. تحقيق محمد خواجوي. طهران: مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي.
النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. (١٤٢٠هـ). المجتبى من السنن. عمان: بيت الأفكار الدولية.
الهلالي، سليم بن قيس. (١٤٠٥هـ). كتاب سليم بن قيس الهلالي. تحقيق محمد الأنصاري. قم: الهادي.

ب. الفارسية

ابن طاووس، غياث‌الدين عبدالكريم بن احمد. (١٣٧٩هـ.ش). فرحة الغرى. ترجمه محمدتقی مجلسی. تصحيح: جويا جهانبخش. تهران: ميراث مكتوب.
جعفری، يعقوب. (١٣٧٦هـ.ش). تفسير كوثر. قم: هجرت.
ربانی، صادق. (١٤٠١هـ.ش). «نقش جهاد تبيين در عبور از بحران جمعيت». فصلنامه مطالعات خانواده و تربيت اسلامی. ش ٥. ص ٥٥ـ٧٩.
فرهمندیان، علی. (١٤٠٠هـ.ش). «شرايط كاميابی جهاد تبيين». فصلنامه دانش‌ها و آموزه‌های قرآن و حديث. ش ١٥. ص ٥ـ٧.
مطهری، مرتضی. (١٣٩٣هـ.ش). مجموعه آثار. قم: صدرا المتألهين.
ملک‌زاده، محمد. (١٤٠٢هـ.ش). «كاركردها و پيامدهای جهاد تبيين در بين‌المللی‌شدن الگوی مقاومت از ديدگاه آيت‌الله خامنه‌ای». فصلنامه حكمت اسلامی. ش ١٠٨. ص ١٥٥ـ١٨١.
موسوی، سيدعلی. (١٤٠١هـ.ش). گونه‌شناسی مصاديق جهاد تبيين در نهج‌البلاغه. پايان‌نامه كارشناسی ارشد. دانشگاه علوم و معارف قرآن كريم.
مؤمن، سيده‌هانيه. (١٤٠٢هـ.ش). «واكاوی شيوه‌های مقابله با نفوذ دشمن در جهاد تبيين: مبتنی بر آموزه‌های صحيفه سجاديه». فصلنامه دعاپژوهی. ش ٤. ص ٩١ـ١٠٦.

References

A: Scriptures

The Holy Qur'ān.

B: Arabic Sources

Abū Mikhnaf al-Kūfī, Lūṭ ibn Yaḥyā. 1417 AH. *Waq'at al-Ṭaff*. Edited by Muḥammad Hādī Yūsufī Gharawī. 3rd ed. Qom: Jāmi'at al-Mudarrisīn.

Al-'Ayyāshī, Muḥammad ibn Mas'ūd. 1380 AH. *Tafsīr al-'Ayyāshī*. Edited by al-Sayyid Hāshim Rasūlī Maḥallātī. Tehran: Al-Maṭba'ah al-'Ilmīyah.

Al-Baḥrānī, al-Sayyid Hāshim. 1416 AH. *Al-Burhān fī Tafsīr al-Qur'ān*. Edited by Qism al-Dirāsāt al-Islāmīyah. Tehran: Mu'assasat al-Bi'thah.

Al-Dārimī, 'Abd Allāh ibn 'Abd al-Raḥmān. 1421 AH. *Musnad al-Dārimī (Sunan al-Dārimī)*. Riyadh: Dār al-Mughnī.

Al-Ḥilalī, Sulaym ibn Qays. 1405 AH. *Kitāb Sulaym ibn Qays al-Ḥilalī*. Edited by Muḥammad al-Anṣārī. Qom: Al-Hādī.

Ibn Ḥanbal, Aḥmad ibn Muḥammad. 1416 AH. *Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal*. Edited by 'Āmir Ghaḍbān et al. Beirut: Mu'assasat al-Risālah.

Al-Kūfī al-Ahwāzī, al-Ḥusayn ibn Sa'īd. 1402 AH. *Al-Zuhd*. Edited by Ghulām Riḍā 'Irfānīyān Yazdī. 2nd ed. Qom: Al-Maṭba'ah al-'Ilmīyah.

Al-Kulaynī, Muḥammad ibn Ya'qūb. 1407 AH. *Al-Kāfī*. Edited by 'Alī Akbar Ghaffārī and Muḥammad Ākhūndī. 4th ed. Tehran: Dār al-Kutub al-Islāmīyah.

Mālik ibn Anas. 1425 AH. *Muwaṭṭa' al-Imām Mālik*. Edited by Muḥammad Muṣṭafā al-A'ẓamī. Abu Dhabi: Mu'assasat Zāyid ibn Sulṭān Āl Nahyān lil-A'māl al-Khayrīyah wa al-Insānīyah.

Al-Madani, Ḍāmin ibn Shadqam ibn 'Alī. 1420 AH. *Waq'at al-Jamal*. Edited by al-Sayyid Taḥsīn Āl Shabīb al-Mūsawī. Qom: Muḥammad.

Al-Majlisī, Muḥammad Bāqir ibn Muḥammad Taqī. 1403 AH. *Biḥār al-Anwār*. 2nd ed. Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī.

Al-Mas'ūdī, 'Alī ibn al-Ḥusayn. 1384 AH. *Ithbāt al-Waṣīyah lil-Imām 'Alī ibn Abī Ṭālib*. 3rd ed. Qom: Anṣārīyān.

Mullā Ṣadrā, Ṣadr al-Dīn Muḥammad ibn Ibrāhīm. 1383 AH. *Sharḥ Uṣūl al-Kāfī*. Edited by Muḥammad Khwājūy. Tehran: Mu'assasah-i Muṭāla'āt va Taḥqīqāt-i Farhangī.

Al-Nasā'ī, Aḥmad ibn Shu'ayb. 1420 AH. *Al-Mujtabā min al-Sunan*. Amman: Bayt al-Afkār al-Dawliyah.

Al-Ṣadūq, Muḥammad ibn 'Alī ibn Bābawayh. 1378 AH. *'Uyūn Akhbār al-Riḍā*. Edited by Mahdī Lājawrdī. Tehran: Jahān.

Al-Ṭabrisī, Abū Manṣūr Aḥmad ibn ‘Alī. 1403 AH. *Al-Iḥtijāj ‘alā Ahl al-Lijāj*. Edited by Muḥammad Bāqir Khursān. Mashhad: Murtaḍā.

Al-Ṭabrisī, al-Faḍl ibn al-Ḥasan. 1372 AH. *Majma‘ al-Bayān fī Tafsīr al-Qur’ān*. Edited by Muḥammad Jawād Balāghī. 3rd ed. Tehran: Nāṣir Khusraw.

Al-Ṭurayḥī, Fakhr al-Dīn ibn Muḥammad. 1375 AH. *Majma‘ al-Baḥrayn*. 3rd ed. Tehran: Murtaḍawī.

Al-Zubaydī, Murtaḍā Muḥammad ibn Muḥammad. 1414 AH. *Tāj al-‘Arūs min Jawāhir al-Qāmūs*. Edited by ‘Alī Hilālī and ‘Alī Sīrī. Beirut: Dār al-Fikr.

C: Persian Sources

Farahmandīyān, ‘Alī. 1400 Sh. “Sharāyiṭ-i Kāmyābī-i Jihād-i Tibyīn.” *Faslnāmah-i Dānishhā va Āmūzahā-yi Qur’ān va Ḥadīth*, no. 15: 5–7.

Ibn Ṭāwūs, Ghiyāth al-Dīn ‘Abd al-Karīm ibn Aḥmad. 1379 Sh. *Farḥat al-Gharī*. Translated by Muḥammad Taqī Majlisī. Edited by Jūyā Jahānbakhsh. Tehran: Mīrāth-i Maktūb.

Ja‘farī, Ya‘qūb. 1376 Sh. Tafsīr-i Kawthar. Qom: Hijrat.

Malikzādah, Muḥammad. 1402 Sh. “Kārkirdhā va Payāmadhā-yi Jihād-i Tibyīn dar Bayn al-Milalī shudan-i Ulgū-yi Muqāwimat az Dīdgāh-i Āyatullāh Khāminah’ī.” *Faslnāmah-i Ḥikmat-i Islāmī*, no. 108: 155–81.

Mu’min, Sayyidah Hānīyah. 1402 AH. “Wākāwī-i Shīwahhā-yi Muqābalah bā Nufūdh-i Dushman dar Jahād-i Tibyīn: Mubtannī bar Āmūzahā-yi Ṣaḥīfa-yi Sajjādīyah.” *Faslnāmah-i Du‘āpazhūhī*, no. 4: 91–106.

Muṭahharī, Murtaḍā. 1393 Sh. *Majmū‘ah-i Āthār*. Qom: Ṣadr al-Muta’allihīn (Ṣadrā).

Mūsavī, Sayyid ‘Alī. 1401 Sh. “Gūnah Shināsī-i Maṣādiq-i Jihād-i Tabyīn dar Nahj al-Balāghah.” Master’s thesis, Dānishgāh-i ‘Ulūm va Ma‘ārif-i Qur’ān-i Karīm.

Rabbānī, Ṣādiq. 1401. “Naqsh-i Jihād-i Tibyīn dar ‘Ubūr az Būḥrān-i Jam‘īyat.” *Faslnāmah-i Muṭāla‘āt-i Khānivādah va Tarbiyat-i Islāmī*, no. 5: 55–79.